تعزيز تعليم السياحة الثقافية في التعليم المدرسي بالمغرب:
مقاربة تربوية مستدامة

عبد اللطيف الشبلاوي
باحث في الثقافة والتربية
المغرب

الملخص

يحاول هذا البحث وصف المكانة التي تحظى بها السياحة الثقافية في السياسات الحكومية المغربية، ورصد إلى أي حدّ تصل هذه الحظوة المدرسة وأنشطتها، والمكانة التي تحتلها المؤسسة التعليمية في السياسات السياحية والثقافية، كما يحاول أن يتتبّع مكانة وضعية السياحة والثقافة والسياحة الثقافية في مناهج المدرسة المغربية، ويبحث عن الفرص الممكنة لدمج وتعزيز السياحة الثقافية في المناهج التعليمية من خلال مقترح لمقاربة تربوية للسياحة الثقافية المستدامة تتضمن الأهداف والمضامين والوسائل والأساليب والتقويم.

Abstract

This paper explores the importance of cultural tourism in public policy frameworks, and its implementation within the education sector. It further investigates the contribution of educational institutions in shaping and supporting tourism and cultural policies while analyzing how concepts related to tourism and culture are represented in Moroccan school curricula. Additionally, the study investigates potential opportunities for integrating and strengthening cultural tourism within educational programs. It concludes by proposing a structured pedagogical approach to sustainable cultural tourism, including learning objectives, curriculum content, instructional tools, teaching methodologies, and assessment methods.

مقدمة

يعدّ قطاع السياحة من القطاعات الاقتصادية الواعدة عالميا، فعائداته المالية الضخمة ومناصبه الوفيرة خصوصا على المجتمعات المحلية، صارت تغري الدول لزيادة استثماراتها وتشجيعها لفائدة هذا القطاع الحيوي الذي يشهد انتعاشا عالميا متناميا. وتعمل مجموعة من الدول على أن تجعل من السياحة قاطرة اقتصادها كون هذا القطاع تؤثر حركيّته على قطاعات اقتصادية أخرى. ويُنتظر من السياحة المغربية أن تكون رافعة استراتيجية للنمو الاقتصادي وقطاعا قادرا خلق فرص الشغل اللائق والمستدام، فمساهمته ملموسة في الناتج المحلي الإجمالي حسب إحصائيات وزارة السياحة.

وتحتل السياحة الثقافية مكانة مهمة حيث الكثير من المبادرات والبرامج التي تُشرف عليها وزارتي السياحة والثقافة في بلد تضرب جذوره بعمق في التاريخ البشري، ولديه طموحات سياحية كبيرة، لهذا تقوم وزارة الثقافة بوضع أهداف ترمي لصون وتثمين التراث الثقافي العريق والغنيّ والمتنوع، والمساهمة في تحقيق التنمية المحلية المستدامة في ضوء انتعاشة كبيرة لعائدات الصناعات الثقافية والإبداعية عالميا.

ويُخفي هذا الوجه المشرق للسياحة مجموعة من التحديات البيئية والاقتصادية والثقافية والتربوية ما يفرض نهج طريق الاستدامة المندمجة التي تأخذ بعين الاعتبار تنوع الثقافات والاقتصاديات الحالية والمستقبلية وتأثيراتها الاجتماعية والبيئية، وتلبّي احتياجات السائحين وصناعة السياحة البيئية، والمجتمعات المضيفة. ويصعب مواجهة هذه التحديات وكسب الرهانات التي تتسم بالتسارع والتجدد والتعقّد، وارتفاع التنافسية دون قاعدة بشرية مؤهلة ومكوّنة ومستعدة لربح الرهانات وقهر المخاطر والتهديدات واستشراف المستقبل.

مشكلة البحث

إن السياحة الثقافية المغربية عموما تعيش الكثير من الإكراهات المرتبطة بالعنصر البشري، فرغم التحسّن الكمّي في أعداد الوافدين يبقى بالإمكان تحقيق الأحسن، فالظاهر من خلال مجموعة من القصاصات الإعلامية (افتتاحية جريدة الأخبار المغربية 25.08.2025)، وتصريحات شخصيات عمومية (الطاهر بنجلون الروائي المغربي ـ الفرنسي)، وسياسية (أسئلة برلمانية)، ونشطاء المجتمع المدني لهم اهتمام بقطاع السياحة والسلوك المدني (دراسة استطلاعية ترصد السلوكيات الأكثر تهديدا لصورة المغرب قبل مونديال 2030 للمركز المغربي للمواطنة "2025") أن قطاع السياحة يفتقد لأخلاقيات وآداب السياحة المستدامة جراء ضعف تأهيل العنصر البشري الذي يحتكّ بالسائح والتراث الثقافي.

وتزداد الإكراهات تركيبا عندما يتعلّق الأمر بمجال تتقاطع فيه ثلاثة أطراف بل أكثر: التعليم والثقافة والسياحة والمجتمع المدني والإعلام والتكوين المهني... فلا وجود لرؤية مندمجة ونسقية تجمع الأطراف المعنية لتأهيل العنصر البشري وتثمين التراث الثقافي ونشر الوعي السياحي والثقافي. إن بلدا ثريا ثقافيا يراهن على السياحة الثقافة كركيزة لتحقيق دينامية اقتصادية يجدر به أن يخلق جسورا متينة بين هذه القطاعات، فيجعل المدرسة تصل للمؤسسات السياحية – الثقافية والعكس.

أهمية البحث

يمكن لهذا البحث أن يسهم في وضع اللّبنات الأولى لدمج التربية السياحية الثقافية في برامج ومناهج التعليم المدرسي، ويفتح أبواب المؤسسات الثقافية والسياحية أمام التلامذة، وتنخرط أطراف تحترف السياحة والثقافة في برامج ومشاريع مدرسية، وهو ما من شأنه أن يوقظ الجذوة الأولى للميول السياحية – الثقافية في التلامذة سواء تخصّصوا واحترفوا واندمجوا مهنيّا في قطاع السياحة، أو كانوا طرفا مضيفا في المجتمعات المحلية، فيُحسنوا استثمار الثقافة لتحقيق عوائد سياحية من المنتج الثقافي لضمان تنمية محلية مستدامة. وإذا كانت الدولة تراهن على السيّاحة الثقافيّة فالضرورة تفرض التركيز على تكوين الأجيال الصاعدة بآلية نسقية لربح الرهان، وضمان تحقيق السياسات الموجَّهة لتنمية هذه القطاعات.

منهجية الدراسة

تمّ تبنّي المنهج الوصفي التحليلي لتتبّع أهمية السياحة والثقافة في السياسات الحكومية المغربية، ورصد أهميّة ومكانة الانفتاح على المحيط الاقتصادي والثقافي في أدبيات وزارة التربية الوطنية. كما عملنا على تتبّع مدى حضور المدرسة في توجهات وسياسات قطاعي السياحة والثقافة، ومكانة السياحة والثقافة والسياحة الثقافية في المناهج التعليمية، والفرص التي يمكن استثمارها لتعزيز تعليم السياحة الثقافية.

وتمّ وضع ملامح مقاربة تربوية لتعليم وتعلم السياحة الثقافية مستمدة من أدبيات منظمة السياحة العالمية، ومنظمة اليونسكو، والمجلس الدولي للآثار والمواقع، وتجارب دول عمدت لتعليم الثقافة والسياحة في مناهجها التربوية، وهي المقاربة التي تأخذ بعين الاعتبار معطى الاستدامة.

I. الإطار المفاهيمي والنظري

1. الثقافة

إن مفهوم الثقافة من المفاهيم المعقدة التي لم يقع عليها الإجماع، ولن يكون مفيدا توحيد وتعميم تعريف محدد بحكم التغيّرات التي عرفها المفهوم، وقد اقترحت منظمة اليونسكو في "إعلان مكسيكو للثقافة – 1982" تعريفا للثقافة بكونها جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونُظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وتجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية، والقدرة على النقد، والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته، والبحث عن مدلولات جديدة، وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه، وهو التعريف المستوحى من روح تعريف "تايلور" الشهير للثقافة.

وعرّفت المنظمة العالميّة للسياحة كون الثقافة "تشمل جميع جوانب الحياة تقريبًا، الثقافة في أشكالها: غير الملموسة (القيم، المعايير، المفاهيم الأخلاقية، إلخ)، السلوك الاجتماعي (طريقة الحياة)، الملموسة (المعالم الأثرية)، والثقافة في مكوناتها: الممارسة الدينية، التنظيم المجتمعي، منظومة المعرفة، اللغة، الفنون، سبل العيش، الأشياء والتكنولوجيا." (World Tourism Organization, 2018, p. 44)

والظاهر أن التعريفين شاملين، عملا على النظر للثقافة كماضٍ بشريّ، وفي الآن نفسه استحضار المنجز الآني بكلّ تنوّعه، فالثقافة هي الشخصية البشرية وديوانها التي يجد فيها الإنسان ذاته، فرغم خصوصيّتنا فنحن ننجذب للمنجز الثقافي للآخر المختلف.

2. السياحة

السياحة حسب المنظمة العالمية للسياحة مجموع الأنشطة التي يقوم بها الأشخاص أثناء تنقّلهم وإقامتهم خارج بيئتهم المعتادة لفترة متتالية لا تزيد عن سنة واحدة لأغراض الترفيه والأعمال وغيْرها من الأغراض الّتي لا تتعلّق بمُمارسة نشاط مقابل أجْر من داخل المكان الذي تمّت زيارته.

وفي تعريف آخر فالسياحة هي مجموع "الظواهر والعلاقات الناشئة عن التفاعل بين السياح من جهة، ومن جهة أخرى بين مزوّدي الخدمات التجارية، وحكومات الدول المستضيفة، والمجتمعات المضيفة، وحكومات الدول الأصل، والجامعات، وكليات المجتمع، والمنظمات غير الحكومية، وذلك في إطار عملية جذب هؤلاء السياح والزوار الآخرين ونقلهم واستضافتهم وإدارتهـــم" (Franklin, 2003, p. 28).

وقد زاد الإقبال على هذه الممارسة أو المنتج بعد الحرب العالمية الثانية بفضل التطورات التكنولوجية الهائلة، والتحولات المتعاقبة التي لحقت العالم تشريعا واقتصادا وثقافة وفلسفة حياتية.

3. السياحة الثقافية

حسب المنظمة العالمية للسياحة فالسياحة الثقافية تُحدّد حسب حركات الأشخاص الخاضعة لدوافع ثقافيّة التي "تحدّد بوضوح، أنماط الحياة وأسلوب العيش لشعب ما، في الماضي والحاضر، مع امتداد ضمني نحو المستقبل، والأهم أنها تتجاوز الصور النمطية المرتبطة بالفنون والحرف اليدوية لتعكس جوانب الهوية، الظاهرة والخفية، اليومية والخاصة بالمناسبات. وفي النهاية، فهي الجوانب التي تمنح أمة/منطقة ما إحساسًا بالهوية والمجتمـــــع والانتمـــاء والفخر." (World Tourism Organization, 2018, p. 44)

وقد طَلبت المنظمة من الدول الأعضاء تحديد المجالات الثقافية والتراثية التي تدرجها ضمن فئة "السياحة الثقافية"، فأشار معظم المستجوبين إلى أنهم يدرجون كلًّا من التراث المادي (مواقع التراث الوطني والعالمي، النُصُب، الأماكن والمباني التاريخية، الطرق الثقافية...) والتراث غير المادي (مثل الحرف اليدوية، فنون الطهو، المهرجانات التقليدية، الموسيقى، التقاليد الشفوية والسياحة الدينية/الروحية...) ضمن تعريفهم للسياحة الثقافية.

ويعتبر البعض –حسب المنظمة–أن السياحة الثقافية شاملة للثقافة المعاصرة مثل السينما، الفنون الأدائية، التصميم، الموضة والإعلام الجديد...

وبالتالي فلكلّ سائح مفهومه الخاصّ حول السياحة الثقافية، وزاوية نظره الخاصة، وطقوسه الخاصة مع الثقافة والسياحة.

4. الاستدامة السياحية والثقافية

إن السياحة المستدامة –حسب الأمم المتحدة –تأخذ في الاعتبار الاقتصاديات الحالية والمستقبلية وتأثيراتها الاجتماعية والبيئية وتلبي احتياجات السائحين وصناعة السياحة البيئية والمجتمعات المضيفة. وتعمل على "التوفيق بين حماية البيئة، والتنمية الاقتصادية، ومكافحة الفقر بطريقة مستدامة، كما حددته الأمم المتحدة في قمة الأرض في ريو دي جانيرو عام 1992، وكما تجلّى في جدول أعمال القرن 21 الذي اعتمد في تلك المناسبة، وأعيد التأكيد عليه، في قمتي الأرض في جوهانسبورغ في 2002 وريو 2012 (ريو+20)" (منظمة السياحة العالمية، 2019، ص. 63).

وتحاول السياحة الثقافية المستدامة أن "توفّق ما بين البيئة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وما بين الانفتاح... وحماية الهويات الاجتماعية والثقافية." (منظمة السياحة العالمية، 2019، ص. 63).

وبالتّالي فالاستدامة السياحية هي تنميّة السياحة بما يحمي البيئة ويصون التراث ويعود بالنفع على المجتمعات المحلية. وأما الاستدامة الثقافية فهي الحفاظ على الموروث وحماية التنوع الثقافي وضمان انتقاله عبر الأجيال.

5. مقاربة تربوية ثقافية مستدامة

ربطا بما سبق نقول بأن "المقاربة التربوية الثقافية المستدامة" توجّه بيداغوجي يهدف إلى إدماج الثقافة ببعديها المادي واللامادي في العملية التعليمية بطريقة تصون وتحفظ وتنمّي الثقافة، وترفع من درجة الوعي الثقافي، وتنقلها للأجيال القادمة بشكل مسؤول ومنفتح ومندمج. وتتخذ من مضامين التراث الثقافي والفنون موضوعا لها. وتتميّز المقاربة بطرائقها وأساليبها التفاعلية والميدانية والرقمية المتجددة التي تتخذ من المتعلم محورا لها. وتتمظهر نتائجها في حفاظها على الهوية والذاكرة الثقافية، ودمجها البعد الاجتماعي والحقوقي والبيئي، وبنائها لمتعلم منفتح ومنتج ومتجدد ومسؤول، وضمان مشاركة المتعلم في الأنشطة الثقافية المحلية المستدامة. (World Tourism Organization, 2018)

II. واقع السياحة والثقافة ومكانتهما في التعليم

1. السياحة الثقافية والثقافة في السياسات الحكومية

تحتل السياحة الثقافية مكانة مهمة داخل قطاع السياحة، فحسب تصريح لوزيرة "السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني" بمجلس النواب فإن السياحة الثقافية تشكّل 69 في المائة من الطاقة الإيوائية الإجمالية بالمغرب، ويقبل عليها 84 في المائة من الوافدين على المغرب. وقد قامت وزارة السياحة بمجهودات كبيرة لتطوير السياحة الثقافية، فعملت على ترميم وتأهيل مدن عتيقة تتميز بجمالها التاريخي، وحسّنت الخدمات السياحية تنشيطا وترفيها، وقامت بحملات ترويجية، ونظّمت معارض ومهرجانات ثقافية، واستثمرت الإمكانيات الرقمية والتكنولوجية لخدمة السياحة الثقافية.

إن السياحة الثقافية بالمغرب دعامة أساسية لتنويع العرض السياحي الوطني، وهي فرصة لتحسين وتعزيز المعرفة بصناعة السياحة في المغرب باعتبارها مصدرا مهما لاستهلاك منتوجات الصناعة التقليدية والصناعات الثقافية والإبداعية، وتعزيز الاقتصاد المحلي وتمكينه من فرص العمل، وتنمية الاعتزاز بالتراث الثقافي المحلي والوطني (وكالة المغرب بالعربي للأنباء، 2024)، وبالعودة لخارطة الطريق (2023.2026) التي أعدّتها وزارة السياحة نجد السياحة الثقافية قد حظيت بمكانة خاصة.

ونقف على نفس المجهودات لدى قطاع الثقافة الذي يهدف إلى تثمين التراث الثقافي المغربي المادي وغير المادي حسب تصريح لوزير الثقافة بمجلس المستشارين (ميدي 1 للأخبار،2024)، فقد "أطلقت بلادنا العديد من المشاريع والمبادرات تدعمها هيئات دولية مثل اليونسكو والإيسيسكو أو الاتحاد الإفريقي. وهو ما مكّن بلادنا من التعريف بالعديد من عناصر تراثه الثقافي المادي وغير المادي على الصعيد الدولي وكذا تعزيز عروضه بشأن السياحة الثقافية" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص. 11).

كما تخصّص الوزارة دعما سنويّا لقطاع "الموسيقى والفنون الاستعراضية والكوريغرافية"، ما يسهم بدوره في تعزيز العرض السياحي بالمغرب، من خلال إغناء الأجندة الفنية والإبداعية التي تجذب اهتمام السياح الوافدين على مختلف مدن المملكة للإقبال على الفضاءات التي تحتضن هذه العروض، لاسيما الكوريغرافية والاستعراضية إلى جانب السهرات الموسيقية.

كما يساهم القطاع السينمائي في تعزيز النشاط السياحي والترويج للمغرب كوجهة سياحية عالمية، فالمغرب يظلّ وجهة مفضلة لتصوير الأفلام (مدينة ورزازات نموذجا)، وذلك لتنوّعها الجغرافي ومناظرها الطبيعية ومدنها التاريخية، بالإضافة إلى مجموعة من المبادرات التي تعمل على تفتح شخصية الشباب وإغناء معارفه وتجاربه من خلال المشاركة في لقاءات وتظاهرات شبابية أو بمعية شبيبة دول صديقة وشقيقة داخل المغرب أو خارجه، ولكن يبقى "جزء كبير من الاستثمارات في المجال الثقافي يعكس الأهمية الممنوحة للتنمية السياحية، والدليل على ذلك، الدعم الذي تحظى به مهرجانات الموسيقى وفنون الفرجة أساسا، وهي موجهة أساسا لإنعاش السياحة" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2016، ص. 54).

إن هذه المجهودات الكبيرة التي تستهدف السياحة والثقافة تشوبها إشكالية غياب التنسيق والحكامة الشاملة والحاجة لمجهودات إضافية ترقى لمستوى التنافسية العالمية، وهذا ما وقف عليه تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي "لا يحظى التراث والإرث الثقافيين المادي وغير المادي بتثمين كاف وتظل الوسائل المعبأة لتطويرهما محدودة جدا. علاوة على ذلك، كانت مسألة التراث تُتناول دائمًا بصورة معزولَة ووفق حكامة مُجَزَّأة" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص. 9). وقد أكد المجلس على أهمية خلق آليات تسمح بتوجيه وتحفيز ومواكبة المبادرات المحلية لا سيّما العناية بالمواقع والمآثر التاريخيّة وتطوير مشاريع التنشيط والسيّاحة الاجتماعيّة.

والخلاصة أنه خلال اطّلاعنا على الوثائق المؤطرة لسياسات قطاعي السياحة والثقافة وبرامجهما فإنّ التعليم المدرسي لم ينل الاهتمام المطلوب ضمن خطط وسياسات القطاعين، فلا وجود لأثر مُمأسس ومندمج يخلق جسورا حقيقية بينهما وبين المدرسة، فالكثير من المبادرات تبقى بمعزل عن فضاء المدرسة ويغيب ذكرها حَرفيّا، هذه المدرسة التي تبقى الخطوة الأولى الأهمّ نحو الاستثمار في العنصر البشري وتأهيله.

2. واقع تعليم السياحة والثقافة في التعليم المدرسي

تؤكد أدبيات وزارة التربية الوطنية والتعليم المؤطرة للمناهج والبرامج على أهمية الانفتاح على المحيط الاقتصادي والثقافي، إذ نجد الدعامة الرابعة من الميثاق الوطني للتربية والتكوين تدعو لانفتاح المدرسة على محيطها الاقتصادي وأن تتلاءم توجهاتها مع سوق الشغل. وتتكرر نفس الدعوة في الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 – 2030 في الرافعتين السادسة عشرة "ملاءمة التعلمات والتكوينات مع حاجات البلاد، ومهن المستقبل والتمكين من الاندماج"، والسابعة عشرة "تقوية الاندماج السوسيو ثقافي"، وغيرها من المحطات الإصلاحية كالقانون الإطار للتربية والتعليم أو خارطة الطريق 2022.2026، غير أنه بالعودة لبرامج وزارة التربية والتعليم لا توجد مادة مستقلة تهتم بالسياحة أو الثقافة أو السياحة الثقافية بل تظهر ملامحهم بشكل متفرق في البرامج، وتتقاطع بعض المواد بشكل مباشر وغير مباشر مع السياحة الثقافية، فقد نصادف مواضيع تدعو للانفتاح على الآخر والتسامح وحماية التراث في "التربية المواطنة"، ودور السياحة في دورة الاقتصاد والتنمية في "الجغرافية"، ونصوص عربية أو أمازيغية أو فرنسية أو إنجليزية حول المدن السياحية وتراثها الثقافي، والتربية الفنية التي قد تعرّف ببعض الموروث الثقافي والفني.

ويتيح المسار المهني بالثانوي الإعدادي والجذع المشترك المهني والبكالوريا المهنية للمتعلّم فرصا أكبر للتعرف على تخصصات سياحية وثقافية مثل المطعمة والفندقة والصناعات التقليدية والاحتكاك المباشر بهذه المجالات داخل المقاولات، وبالتالي فرصا أكبر لاكتساب بعض مهارات السياحة والثقافة.

ويبقى حظّ هذه العناصر السياحية والثقافية ضئيل في التعليم المدرسي غير المهني، "فرغم تسجيل بعض التحسّن في إدراج المحتوى التراثي الثقافي في بعض الكتب المدرسية، يلاحظ أن تدريس التراث الثقافي، على أهميته في حفز الشعور بالفخر بالهوية لدى المتعلمين، لم يحظ بالمكانة التي يستحقها على مستوى البرامج الدراسية بكيفية ممنهجة ومنتظمة ومندمجة مع المحتويات المتعلقة باللغات والعلوم، وهذا فضلا عن أن المدرسين يعانون من نقص في التكوين في العديد من المواد التراثية" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص. 24).

ويظهر أن تعليم السياحة الثقافية لا يحظى بأهمية تُذكر، كما لا توجد أي مقاربة بيداغوجية خاصة تستهدف تطوير المهارات السياحية ولا الثقافية ولا السياحة الثقافية، وهذا يزيد من صعوبة تشكيل وعي سياحي وثقافي متكامل لدى المتعلم.

فما السبيل لتعليم الثقافة والسياحة عامّة أو الثقافة السياحية خاصّة خارج الزمن المدرسي الرسمي؟

3. فرص وإكراهات دمج السياحة الثقافية في المناهج التربوية

إن موضوع تعليم السياحة الثقافية أكبر من أن تؤديه وزارة التربية الوطنية منفردة بل يتطلب المشروع العمل بشكل تشاركي بين القطاعات المعنية وغيرهم من الشركاء، فمشروع بهذا التعقيد والتركيب يحتاج لتضافر الجهود بحيث تمتدّ المدرسة لفضاءات قطاعات أخرى معنية، وتصل القطاعات الأخرى لساحات وفصول المدرسة. وقد سبق فعلا أن نُظّم يوم دراسي من طرف "وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي" من جهة و من جهة أخرى "وزارة السياحة والصناعة التقليدية والنقل الجوّي والاقتصاد الاجتماعي" في إطار تفعيل خارطة الطريق لتطوير التكوين المهني بالإضافة إلى فاعلين آخرين، وكان موضوعه "الاستثمار في الرأسمال البشري لمواجهة تحديات ومواكبة تطلعات قطاع السياحة"، وأكدت فيه وزيرة السياحة "نادية فتّاح علوي" على أن "جودة تجربة الزبون" رهين بجودة الموارد البشرية ومؤهلاتها، إنها إشارة واضحة إلى حاجة المدرسة لمثل هذه النوعية من الشراكات التي تفتح أعين المتعلمين على محيطهم الاقتصادي (وكالة المغرب العربي للأنباء، 2021).

إن وضع أسس صلبة للسياحة الثقافية يتطلب فعلا الاستثمار في العنصر البشري، وتمكينه من استيعاب ثقافته أولا، وسبق للإيكوموس (المجلس الدولي للآثار والمواقع) أن طالب بتشجيع تفسير التراث وتخصيص البرامج التعليمية لسكان المجتمعات المستضيفة (المجلس الدولي للآثار والمواقع، 1999). وحسب رأي "المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي" فإن "دور التعليم، فضلا عن دور الأسرة، ضروري لتملّك الشباب

للتراث الثقافي وللحفاظ على الروابط بين الأجيال،" وأن أنشطة " الحياة المدرسية تسمح للمتعلمين بالاهتمام بالتراث الثقافي، مع احترام الهوية الوطنية والخصوصيات المحلية" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص. 13).

ونلمس أثناء القراءة المتأنية للمعطيات أعلاه أن هناك اعتراف بمؤهلات المحليين، والحاجة لصون هويتهم الثقافية، وإشراكهم في التنمية. وليتمّ تكوين وتأهيل المجتمعات المحلية القادرة على تحقيق والاستفادة من التنمية يلزم إعداد سياسات وخطط ثقافية محلية تنطلق من المدرسة المحلية.

وسنجد أن الوثائق المؤطرة للمنهاج المغربي أتاح هذا المنحى اللامركزي في الاختيارات التربوية داخل الميثاق الوطني للتربية والتعليم (الدعامة السابعة: مراجعة البرامج والمناهج) حيث تُرك للسلطات التربوية الجهوية بإشراك المدرّسين في حدود 15 إلى 20 في المائة، وذلك عبر: تضمين تكوين في الشأن المحلي والجهوي، وعرض عدد من الاختيارات تعرضها المدرسة على الآباء والمتعلمين الراشدين، وتخصص إمّا لساعات الدعم البيداغوجي لفائدة المتعلمين المحتاجين لذلك، أو لأنشطة مدرسيّة موازية وأنشطة للتفتح بالنسبة للمتعلمين غير المحتاجين للدعم. فهذا الهامش يتيح إمكانية دمج الخصوصيات الثقافية المحلية في المناهج التربوية والرفع من مستوى الوعي السياحي لديهم، خصوصا في مدن تنتعش فيها السياحة الثقافية من قبيل مدن فاس ومراكش وأكادير وتطوان...

وتبقى الأنشطة الموازية والمندمجة والمشروع الشخصي للمتعلم خيارات مناسبة للقيام بهذه الأنشطة السياحية – الثقافية في ظل عدم وجود مادة أو مقرر متخصّص، وقد زاد الاهتمام مؤخرا التأكيد على أولوية الأنشطة الموازية حيث جعلت منها خارطة الطريق 2022-2026 هدفا استراتيجيا باعتبارها آلية رئيسة للحد من الهدر المدرسي ودعم التعلمات الأساس، وخصصت لها التزاما من بين اثني عشر التزاما، وجعلت لها غلافا زمنيا خارج جدول الحصص الرسمي. كما تقرّ خارطة الطريق أن "قلّة من التلاميذ فقط تستفيد من الأنشطة الموازية رغم إحداث الأندية داخل المؤسسات التعليمية 25 في المائة"، فكيف سيكون حظّ الثقافة السياحة منها؟

لا شكّ أن غياب التكوين واكتظاظ البرنامج وإكراه تدبير الزمن المدرسي والموارد والبنية المادية وغياب المأسسة وانغلاق المدرسة على محيطها (خارطة الطريق "2022.2026"، 2022)، بالإضافة لغياب الشراكات بين مؤسسات تربوية وسياحية وثقافية، وتعقيدات القيام بزيارات ميدانية وضعف استثمار التكنولوجيات الحديثة... كلها عوامل تزيد من صعوبة دمج مواضيع ذات علاقة بالثقافة أو السياحة أو السياحة الثقافية في الأنشطة الموازية.

III. نحو مقاربة تربوية ثقافية لتعليم وتعلم السياحة الثقافية

1. تعليم الثقافة وصون التراث الثقافي

ورد في الرسالة الملكية الموجهة للمشاركين في لجنة التراث العالمي 1999 "لابدّ أن نؤكد على ضرورة اعتماد رؤية ديناميكية بخصوص هذه الحماية، قوامها إدماج تراثنا في مشاريع التنمية وليس فقط في تحنيطه في إطار رؤية تقديسية للماضي، وهو ما يستدعي أيضا ربط جسور قوية بين هذا الموروث الحضاري وبين إبداع الإنسان في الزمن الحاضر..." ولا شكّ أن المدرسة هي الآلية الفعالة والناجعة لصنع هذا الحوار بين الثقافات والأجيال والأزمنة، ففي المدرسة نستطيع أن نضخّ دماء جديدة في تراثنا الثقافي ونؤهل الثروة البشرية للتعامل الناجع مع كلّ السياسات الثقافية وعلاقتها بالسياحة وفق الأسس المرجعية للاستدامة.

وتعمل منظمة اليونسكو جاهدة على ترسيخ تدريس التراث الثقافي المادي وغير المادي وحفظه وصونه واستثمار الثقافة من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وقد تمّ التشديد في إعلان مؤتمر اليونسكو العالمي للسياسات الثقافية والتنمية المستدامة لعام 2022 على "أهمية تعزيز أوجه التآزر بين الثقافة والتعليم، مع إدراك ضرورة توفير التعليم المراعي للسياق، الذي يشمل التراث الثقافي والتاريخ والمعارف التقليدية" (UNESCO ,2022). كما سبق أن أصدرت منظمة اليونسكو وثيقة تعليمية موجهة للمعلمين تحت عنوان "التراث العالمي بين أياد شابة" وغيرها لتحسيس الشباب بأهمية حفظ تراثهم المحلي، الوطني والعالمي، وتعزيز عملية تعليم التراث الثقافي في المدارس.

أما وطنيا فقد أطلق المجلس الأعلى للتعليم الورشة التشاورية/ التفاعلية مع مكونات المدرسة العمومية ومتخصصي مهن الثقافة وجمعيات آباء وأمهات وأولياء التلاميذ في موضوع "تعزيز الوظيفة الثقافية للمدرسة المغربية"، كما دعا المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي إلى إدماج الثقافة في المؤسسة التعليمية... وتعزيز الفضول المعرفي لدى المتعلمين حول تاريخهم وهويتهم وتنوعهم الثقافي... وستتيح الوظيفة الثقافية للمدرسة (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2016) إيجاد قاعدة وأرضية متينة لتعزيز الوعي الثقافي، فلا سياحة ثقافية ناجعة دون وجود منتج ثقافي يُشبع حاجات السائح، ووعي للمضيف بقيمة تراثه الثقافي المحلي، وعادة ما تكون الانطلاقة من فصول المدرسة. وقد أوصى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي "بإدماج المعارف حول التراث الثقافي في برامج التعليم ما قبل المدرسي والابتدائي والثانوي وضمن تخصصات معينة، ومصاحبة هذا المجهود البيداغوجي بأنشطة مدرسية موازية مثل تنظيم زيارات إلى المسالك الثقافية والمواقع التراثية والبنيات المتحفية، إنشاء متاحف صغيرة داخل المؤسسات التعليمية... وجعل التكوين المهني المتصل بالتراث الثقافي أولوية وطنية ... " (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،2021، ص. 28).

وفيما يأتي بعض المكونات الثقافية التي أوصت بها المنظمة العالمية للسياحة لفائدة تلامذة الثانوي: المواقع الأثرية والمتاحف / الهندسة المعمارية (الآثار والمباني الشهيرة والمدن بأكملها) / الفن والنحت والحرف اليدوية والمعارض والمهرجانات والفعاليات / الموسيقى والرقص (الكلاسيكي، الشعبي، المعاصر) / الدراما (المسرح والأفلام والمسرحيين) / دراسة اللغة والأدب والجولات والأحداث / المهرجانات الدينية والحج / الثقافات الكاملة (الشعبية أو البدائية) والثقافات الفرعية...

2. تعليم السياحة الثقافية

لا يمكن الحديث عن سياحة ثقافية واعدة ما لم توجد قاعدة وأساس ثقافي يثير ويجذب السائح، وبناء وتحديد هذا المنتج الثقافي ينجزه العنصر البشري المؤهل والمكوّن، فالظاهر أن الدول التي نجحت في تأهيل ثروتها البشرية وتثمين تراثها الثقافي المادي وغير المادي هي من تجني اليوم ثمار الاستثمار الفعّال في السياحة الثقافية، ونمثّل بدول مثل فرنسا وإسبانيا وكوريا الجنوبية حسب تقارير المنظمة العالمية.

ويكتسي تطوير وعي التلامذة بالسياحة الثقافية في التعليم ما قبل الجامعي أهمية خاصة، حيث يسهم في إدراك والتوجيه للجوانب السياحية في المجتمع المحلي، واستيعاب العلاقات المعقدة بين الإنسان والسياحة الثقافية في جوانبها الشمولية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فيكون لدى الفرد وعي استباقي بمقوماتها وأدوارها وأسسها وتحدياتها، وبناء اتجاهات إيجابية نحوها.

إن منظمة السياحة العالمية دعت لإدماج التعليم السياحي في مناهج التعليم الثانوي خصوصا السنتين الأخيرتين لتمكينهم من وعي سياحي كاف، وتوفير فترات تدريب للمتعلمين لتأهيل اليد العاملة المحتمل احترافها للمجال السياحي وربطها بالمشاريع السياحية المحلية والوطنية، والتقرب أكثر من ثقافتهم وتراثهم. واقترحت المنظمة بعض الموضوعات للتدريس مثل: التعريف بالوجهات السياحية / مهارات التواصل الشفوي والكتابي في دراسات السياحة / تاريخ السياحة وخصائصها / تحليل الأهمية الاقتصادية للسياحة / الآثار الاجتماعية والثقافية للسياحة / حماية الثقافة المحلية وسبل تثمينها بالإضافة إلى التدريب العملي... وهذه التعلمات والمهارات تتيح لهم اكتشاف ميولهم المهني المناسب الذي قد يكون محفّزا لمتابعة تكوينهم في مهن السياحة الثقافية أو السياحة عموما.

وقد اتبعت بعض الدول هذه الرؤية التي تدمج السياحة في مناهج وبرامج التعليم المدرسي، وعرضت المنظمة السالفة الذكر دليل إرشادات لتعليم السياحة، وفصّلت فيه تجارب مجموعة من الدول مثل كولومبيا التي دمجت برنامج سياحي يتناغم مع السياق المحلي بهدف تعليم مبادئ السياحة، وعينها على بناء قادة مستقبل يمتلكون مؤهلات كفيلة بتقوية الأنشطة السياحية، أما البرازيل فتعاونت وزارتا "التعليم والسياحة" وشركاء آخرين بهدف دعم التدريب والتعليم والتعلم مدى الحياة في قطاع السياحة (World Tourism Organization,2022).

وتقرّ منظّمة السياحة التابعة للأمم المتحدة أن مقاربتها الشمولية (360 درجة) الساعية لإدخال مفاهيم السياحة عموما في التعليم المدرسي وخصوصا الثانوي بهدف تنمية الوعي المبكر والاهتمام بالقطاع، بأن مقاربتها لم تحقق النتائج المنتظرة بحكم أن نسبة قليلة من الدول الأعضاء تبنّت المقاربة. وتحظى السياحة الثقافية بمكانة خاصة وسط هذه البرامج، "فالسياحة الثقافية تحتل مكانة خاصة في سياسة الدول

الأعضاء، وأشارت الغالبية العظمى (90%) إلى أنها كذلك، وغالبا ما ينظر إلى السياحة الثقافية على أنها سوق أساسية للسياح الدوليين"(World Tourism Organization,2018,P.26).

3. المنهج التكاملي لتعزيز الوعي / التعلم السياحي الثقافي

إن موضوع السياحة الثقافية عابر لتخصصات تجمع بين المضامين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاستدامة وغيرها جانبية، وهذا يتطلب تدخل مجموعة من الفاعلين لبناء هذا البرنامج الذي يراد له أن يُمكّن المتعلمين من معارف ومهارات واتجاهات تحدد أهدافها ومضامينها وأساليبها وطرائقها أطراف تربوية وسياحية وثقافية.

إن برنامج تعليم السياحة الثقافية يجب أن يستهدف تنمية الوعي السياحي لدى طلبة المدارس في التعليم الأساسي بمراحله المختلفة الابتدائي والإعدادي والثانوي، وذلك من خلال المناهج والمواد الدراسية الخاصة بكل مرحلة مع اختلاف المواد التي تدرس لهم، إلى جانب تنوع طرق التدريس وعدم الاعتماد على الطرق التقليدية (إبراهيم وشجاع، 2022).

ويقتضي تعليم السياحة الثقافية تنويعا في الطرائق التعليمية بحكم طبيعة الموضوع، وقد شدّد (AlAli and Al-Barakat, 2024) على أهمية دمج الأنشطة العملية والتفاعلية لتعزيز الفهم التطبيقي، مثل مشاريع البحث، والزيارات الميدانية، والأنشطة الجماعية. فهذه الأنشطة تساعد الطلاب على تطبيق ما تعلموه في سياقات واقعية وتزيد من تفاعلهم مع موضوع السياحة.

كما يستدعي هذا المنهج التكاملي توظيف معينات تعليمية متنوعة ومختلفة، مثل الصور، والخرائط، والفيديوهات والوسائط الحديثة لشرح مفاهيم السياحة والثقافة بشكل أكثر فعالية. فهذه الموارد تعزز تجربة التعلم، وتساعد الطلاب على التفاعل مع المعلومات وفهمها بشكل أفضل، والعمل على إشراك الطلاب في أنشطة تتيح لهم استكشاف السياحة والإرث الثقافي بشكل تفاعلي.

4. المتعلم بين المشاهدة والممارسة والتأويل: مسار نحو وعي سياحي ثقافي

يرى المجلس "الاجتماعي والاقتصادي والبيئي" أن التراث الثقافي متوالية وظيفية متصلة تغطي مختلف حلقات سلسة القيمة: التعرف والتملك والوساطة والمحافظة وإعادة التأهيل والتعزيز، كما يعتبره خزانا للتنمية المستدامة وبالتالي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، والتعامل معه في إطار "تثمين دينامي" حيث يضع المواطن أو الفاعل و المستفيد على حدّ سواء، في قلب مختلف السياسات والمبادرات المتعلقة بالتراث الثقافي، والأخذ بعين الاعتبار وظيفة نقل التراث، والمسؤولية القائمة بين الأجيال وداخل الجيل الواحد (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021، ص. 12).

إن هذه المتوالية التي اقترحها المجلس تجد امتدادا لها في الإطار المرجعي الموحد الذي انطلق بفرنسا مع بداية الألفية، وكان نتيجة ثمرة تعاون بين وزارتي التعليم والثقافة لهدف إيجاد إطار مرجعي لتدريس الثقافة والفنون، وتبنّته منظمة اليونسكو ودول أخرى، ويقوم على ثلاثة مجالات: المشاهدة والممارسة والتأويل (Ministère de l'Éducation nationale, 2015).

أ –مجال المشاهدة: يشاهد ويرى المتعلم التراث الثقافي السياحي، ويكتسب عادات المتابعة والمشاهدة، فتولّد تجربة المشاهدة والاحتكاك الفضول والدهشة؛ يلاحظ ويحسّ ويدوّن ويفهم، فتكون النتيجة أن الثقافة أضحت لغة يتملّك المتعلم آلياتها ليتواصل مع العالم، وتكون الثقافة وسيطا بين المتعلم وبين الآخر وفهم الهوية المحلية.

ب –مجال الممارسة: ويكون المتعلم في هذه المرحلة فاعلا ومنجزا في التعبير والتأثير في هذا التراث الثقافي السياحي، فيتفاعل ويحتكّ بالفاعلين في السياحة الثقافية، فيُعدّ عروضا واقعية أو رقمية حول التراث الثقافي أو يرشد السياح من زملائه في إطار السياحة الثقافية المدرسية أو ممارسة حرفة من حرف الثقافة المحلية أو يصوّر أو يكتب، فالمتعلم بممارساته يشكّل بعضا من هويته كسائح ثقافي أو مضيف للسياح، فتكبر ثقته بنفسه وتبرز مهاراته الإبداعية وروحه الجماعية ويزداد اعتزازه بهويته الثقافية.

ج –مجال التأويل: يتملك المتعلم في هذه المرحلة ثقافة السياحة الثقافية، وتصبح لديه آليات وتقنيات صون التراث الثقافي المحلي والاستثمار فيه سياحيا، وتظهر لديه روح نقدية تتيح له القيام بتأويلات وتفسيرات حول التراث الثقافي والسياحة الثقافية وأدوارها في التنمية المستدامة، والربط بين المعارف والمجالات، وينزع نحو التفكير الإبداعي الكفيل بتحسين وتطوير السياحة الثقافية المحلية.

وعادة ما ترافق هذا الإطار المرجعي مقاربات تعتمد التعلّم النشط القائم على الاكتشاف ومركزية المتعلم الفاعل.

5. استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتعميق معرفة التلامذة بالثقافة والسياحة.

ازداد الوعي بأهمية استثمار الوسائط الرقمية بعد انتشار وباء كورونا وتضرر مجموعة من القطاعات الحيوية بما فيها قطاع التعليم والسياحة والثقافة خصوصا في الشقّ المتعلق بالتكوين والتعلّم والتأهيل، لهذا بات من المحتم بناء بنية تحتية رقمية تواكب التطورات المتسارعة التي يعرفها مجال تكنولوجيات المعلومات والاتصال، والعمل على توظيفها والاستفادة من فرصها بنجاعة في المجالات التي تعني موضوع بحثنا.

ولهذه الأسباب أنشأت أكاديمية المنظمة العالمية للسياحة موقعا إلكترونيا متخصصا بعنوان "الدورات، الندوات عبر الويب والموارد الرقمية" يضم وحدات تعليمية وتدريبية متنوعة عبر الإنترنيت في مجالات سياحية مختلفة، أعدتها وقدمتها المنظمة أو مؤسسات وخبراء شركاء"، تحت شعار " من خلال التعلم من المنزل اليوم، نكتسب مهارات الغد"، وتتيح هذه المنصة فرص توجيه التلامذة نحو هذه الموارد الرقمية للرفع من مستوى الوعي السياحي لديهم.

أما تجربة وزارة التعليم والتربية المغربية فقد انطلقت فعلا مع برنامج جيني الهادف لتشجيع استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال في التعليم بالمغرب، وجاءت بعده مجموعة من الخطوات التي تخصّ التدريب والتأهيل في تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ومكّنت هذه المبادرات القطاع من امتلاك بنية تحتية لكنّها بحاجة للتعزيز، "ورغم أهمية الجهود المبذولة، فإن دينامية التحول الرقمي في مجال التعليم لا تزال تظهر العديد من أوجه القصور وتطرح العديد من التحديات الكبرى" حسب الحبيب المالكي الرئيس السابق "للمجلس الأعلى للتعليم". ولا شكّ أن هذه التحديات تزيد من صعوبات وجود مادة تعليمية – تعلمية رقمية موجهة لتعليم السياحة الثقافية، فالأولوية الرقمية تعطى للمواد التي تستهدف التعلمات الأساس والمهارات الصلبة.

أما وزارة الثقافة فقد عملت على إعداد بنية تحتية تتيح للأجيال الصاعدة التعرف على ملامح الهوية الثقافية المغربية، وأشاد المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي باتفاقية شراكة مع أكاديمية المملكة من أجل تكوين مائة شخص لتطوير محتوى مغربي في شكل موسوعات إلكترونية تشبه موسوعة ويكيبيديا، وقصد تمكين الشباب من اكتشاف تراثهم بطريقة مسلية بواسطة اختبارات قصيرة، أنشأت الوزارة موقعا ثقافيا وتعليميا إلكترونيا بعنوان "أطفال وثقافة" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،2021).

إن التكنولوجيات الرقمية وسّعت من هوامش قدرتنا على الإنجاز، ومكّنتها من فرص واسعة للتعلم الذاتي وضمان استمرارية هذا التعلم مدى الحياة وقابليته للتجدد والتنوع وتلبية حاجياتنا المهارية والمعرفية، وزادت من فرص خلق جسور التواصل بين أطراف موضوع بحثنا رغم القصور الملاحظ لدى وزارة السياحة. وقد أوصى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي "بمدّ الجسور بين الثقافة والمدرسة والتنمية الجهوية والمحلية على أسس جديدة تأخذ بعين الاعتبار تكنولوجيات الإعلام والاتصال، في إطار تفعيل الجهوية المتقدمة"(المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2014).

وفيما يأتي بعض آليات تكنولوجيا المعلومات والاتصال الكفيلة بأن تؤدي دورا تكميليا مهما في بناء هذه المقاربة التربوية الموجهة لتعزيز تعلم الثقافة السياحية:

- الاستفادة من المنصات الرقمية التي تتيح فرصا للتعلم عن بعد مثل منصة أكاديمية المنظمة العالمية للسياحة؛
- إنشاء منصات رقمية تعرض محتويات عن التراث الثقافي (صور، فيديوهات...)؛

- تصميم تطبيقات مثل "Google Arts and Culture" لزيارة المتاحف والمواقع التراثية؛
- استثمار الخرائط التفاعلية لزيارة "GIS" لتدريس التاريخ المحلي والجغرافية السياحية والمسارات الثقافية؛
- استثمار الواقعين الافتراضي والمعزز للقيام بجولات وزيارات غير ممكنة واقعا؛
- الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي لتبادل الصور والفيديوهات والأفكار؛
- تعزيز المهارات الرقمية من خلال نقاشات الاستدامة السياحية والثقافية؛
- استثمار الذكاء الاصطناعي في البحث عن موضوعات تهمّ السياحة والثقافة والاستدامة...

إن توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم الثقافي السياحي سيتيح للتلامذة الذين سيمتهنون مهن السياحة من أن ينفتحوا على القرية العالمية، ويمكنهم من إنتاج واستثمار البنية التحتية السياحية العالمية لتنافسية أكبر، والعمل على الاستثمار في اقتصاد السياحة الثقافية الإبداعية بشكل ناجع.

IV. استدامة تعليم السياحة الثقافية وتطويرها

1. الحاجة لتعليم أخلاقيات وآداب سياحة ثقافية مستدامة

لا يمكن إلا أن يقف المرء عند غنى وثراء الإرث الثقافي المغربي بنوعيه المادي وغير المادي، غير أن هذه الثروة الثقافية لا تلقَ الاهتمام الذي يتناسب مع قيمة ووزن هذا الإرث خصوصا في الشقّ المتعلّق بأخلاقيات وآداب السياحة الثقافية، وهذا ما يؤثر سلبا على تجويد تجربة السائح لأهداف ثقافية واستمرارية التراث الثقافي؛ فالكثير من المواقع الأثرية تتعرّض للإهمال، وسوء تقدير المحليين لإرثهم الثقافي، وعدم التزام المضيفين بالقيم الأخلاقية الأصيلة أثناء احتكاكهم بالسياح...

وقد أطلقت "المنظمة العالمية للسياحة" و"المجلس الدولي للمعالم والمواقع" ميثاقين يتضمنان بعضا من أخلاقيات وآداب السياحة بهدف الحفاظ على التراث وتثمينه وحسن إدارته، والتأسيس لسياحة مسؤولة ومستدامة، والظاهر أن تدريس هذه الأخلاقيات والآداب حاجة ملحّة في ظلّ الرهان السياحي الذي يخوضه المغرب، فلن تكتسيَ السياسات السياحية والثقافية طابع النجاعة ما لم تستهدف الأجيال الصاعدة التي ستشكّل القاعدة البشرية لقطاع السياحة الثقافية.

ويتضمن نموذجَا "الميثاق الدولي للسياحة الثقافية 1999 و2022" و"اتفاقية منظمة السياحة العالمية المؤطّرة لآداب وأخلاقيات السياحة" مجموعة من المواد التي تهمّ مشكلة بحثنا، وقد اقتصرنا على بعض المواد التي تعني السياحة الثقافية المستدامة في سياقنا المغربي، ويظهر أن الوثيقتين يلزم أن تجد طريقهما نحو المناهج التربوية المغربية الموجهة للسياحة الثقافية، وفيما يأتي بعض قضايا المواد:

- فهم وتعزيز القيم الأخلاقية المتعارف عليها بين البشر، وترسيخ قيم التسامح والحوار واحترام تنوع العقائد الدينية والفلسفية والأخلاقية؛
- الحرص على استمرار وامتداد التراث الثقافي لأطول مدة ممكنة، وضمان نقله للأجيال القادمة بما في ذلك المنتجات الثقافية التقليدية والحرف والتراث الشعبي؛
- تشجيع صناعة السياحة بطرق تحترم وتثمن التراث وثقافة المجتمعات المحلية؛
- الحرص على اعتماد المواد الأولية المحلية؛
- ضمان التنوع والأصالة مهما تطورت البنية التحتية؛
- تمكين الساكنة المحلية من فهم قيمهم التراثي وإرثهم الثقافي؛

- تعزيز الثقافة الحقوقية؛
- إشراك السكان المحليين وتحقيق التنمية المحلية المستدامة لهم؛
- تعرف المضيفين على السياح الذين يزورونهم، واحترامهم، والتعرف على أساليب حياتهم وأذواقهم وتوقعاتهم؛ فتعليم وتدريب المشتغلين بالسياحة يُسهِمان في حسن الضيافة، وتحسين تجربة السائح بتمكينه من إشباع حاجاته الثقافية، فيعيش تجربة ممتعة ومرضية تدفعه لتكرار التجربة.

والظاهر أن هذه الأخلاقيات والآداب من شأنها أن تحمي التراث الثقافي من مخاطر السياحة وعموم التحديات مثل تأثير التحولات المناخية والهشاشة المهنية ومخاطر العولمة على الثقافات المحلية، وإرساء تربة خصبة لإنشاء صناعات ثقافية وإبداعية معاصرة.

2. نحو تعليم سياحة ثقافية مستدامة

حظيت الاستدامة باهتمام بالغ في التوجهات العالمية المعاصرة، وقد انطلق المسار بإعلان مؤتمر ستوكلهم للبيئة سنة 1972، وجاءت محطة "التعليم من أجل التنمية المستدامة ESD" لعام 2030 لتعطي الاستدامة دفعة قوية، فحسب "ويلسون شولتز P. Wesley Schultz " فإن التنمية المستدامة هدف لا يمكن تحقيقه إلا من خلال تغيير السلوك، غير أن هذا السلوك يواجه عوائق ثقافية وهيكلية تحد من تبنّيه، ولهذا راهنت الأمم المتحدة على المدرسة لربح مشروع الاستدامة.

وقد أعدّت الأمم المتحدة مجموعة من الندوات والمؤتمرات والدلائل بهدف دمج الاستدامة داخل المناهج التربوية، ونادت بإعادة بناء المناهج بحيث تدعم فكر الاستدامة على مستوى الفصول الدراسية أو عموم السياسات على المستوى الوطني. فيستطيع المعلمون على مستوى الفصل البدء بالربط صراحة بين مفردات الموضوعات الدراسية وبين الاستدامة (اليونسكو، 2013). وتأتي السياحة في مقدمة القطاعات الواعدة المعنيّة بالاستدامة، فهذا القطاع يبقى مركبّا ومعقدا بحكم تشعبه وتداخله مع قطاعات أخرى، وحاجته القصوى أكثر من غيره لمبادئ الاستدامة.

لاشكّ أن الرهان على السياحة الثقافية المستدامة من شأنه أن يساهم في ضمان تنزيل النموذج التنموي المغربي، ويضمن تحقيق مجموعة من أهداف التنمية المستدامة سواء في نسختها الأممية أو المغربية. وقد ازداد مؤخرا الاهتمام وطنيّا بقضايا الاستدامة في علاقتها بالسياحة، وسبق لوزارة السياحة أن دمجت الاستدامة في جميع أنشطة سلسلة القيم السياحية، ووقعت ميثاقا وطنيا للسياحة المستدامة مع المتدخلين في قطاع السياحة، وبتعليم السياحة المستدامة بما فيها السياحة الثقافية، فهناك إجماع واسع على أن للتعليم دور مهم في تحقيق السياحة المستدامة.

لقد اقترحت منظمة اليونسكو ملامح "بيداغوجيا التربية من أجل التنمية المستدامة" التي تحفّز التلاميذ على طرح الأسئلة والتحليل والتفكير النقدي واتخاذ القرارات، ورأت أن الأساليب التربوية لتعليم التنمية المستدامة، غالبا ما تستند على المكان أو على قضية أو مشكلة، والأساليب المشجعة على التفكير الناقد، النقد الاجتماعي وتحليل السياقات المحلية، كما تشمل النقاش، تحليل وتطبيق القيم، كما تستفيد هذه الأساليب من الفنون، وتستخدم الدراما، اللعب، الموسيقة، الرسم وتنحو نحو تحفيز الابتكار وتخيّل بدائل مستقبلية. (اليونسكو، 2013)

وبهذا يمكن أن نستخلص أن تعليم سياحة ثقافية مستدامة يتطلب:

- من حيث المحتوى، يقوم على دمج موضوعات متنوعة (سياحية، ثقافية، بيئية، آثار، اجتماعية...) بطريقة شمولية ومندمجة؛
- ومن حيث النهج البيداغوجي، يعتمد على التعددية، واستراتيجيات تعليمية وتعلمية تعددية تتمحور أساسا حول المتعلم.

وبهذا نضمن تحقق المخرجات المعرفية والاجتماعية–العاطفية والسلوكية الآتية:

- بناء مهارات من قبيل: التعاون / المشاركة / المرونة / التواصل / سرعة التحول والتغيّر / التسامح / التفاوض / التنظيم...
- وتحقق المهارات العليا: التفكير النقدي / حلّ المشكلات / الاستشراف والتنبؤ / التفكير الإبداعي...

➢ بالإضافة إلى هذه المهارات الخاصة التي فرضت نفسها مؤخرا: المساواة بين الجنسين / فهم الآخر / الوعي بالإعاقة / التوجه نحو خدمة العملاء...

وبالتالي يتحقق التأسيس لمواطن محتمل (سائح ثقافي أو مضيف كمواطن عادٍ أو مهني محترف) قادر على التفاعل مع "النشاطات السياحية في احترام للتراث الفني والأثري والثقافي وحمايته ونقله للأجيال القادمة؛ ويوفّر عناية خاصة لحفظ المعالم التاريخية وأماكن العبادة، والمواقع الأثرية والتاريخية..." (منظمة السياحة العالمية،2019،ص 67)، وبناء عنصر بشري مؤهل بأن يذهب "في اتجاه تحويل المدرسة من مجرد فضاء لاستهلاك الثقافة إلى مختبر للإسهام في إنتاجها ونشرها"(الرؤية الاستراتيجية للإصلاح، 2015)، ومستثمر للإمكانيات والتأثيرات الواعدة للعولمة ولتنامي الاقتصاد الإبداعي ووسائل النقل، هذا الفاعل المستوعب لإمكانيات وفرص ونقط قوة مجتمعه المحلي والتهديدات والمخاطر المحدقة به، والمتملّك لأعلى درجات الإبداعية المحلية.

3. التقويم في التعليم السياحي الثقافي

لا يلزم أن يتمّ التقويم بالطرق التقليدية داخل الفصول التي تسعى للجزاء وقياس درجة الشحن والتلقين، بل يكون امتدادا وتطويرا للتعلمات والمهارات والقدرات واستشراف لما بعدها. ويجدر به يكون تقويما مؤسس على الأداء العملي والميداني من خلال زيارة المواقع الثقافية والأثرية والمتاحف والمهرجانات وغيرها من المظاهر الثقافية ذات الطابع السياحي، فيُقيّم التلامذة بناء على قدرتهم على بناء مشاريع انطلاقا من ملاحظاتهم ومشاهداتهم وممارساتهم وقدرتهم على الفهم وتحليلهم للمعطيات التي قاموا بتجميعها، وعادة ما تكون هذه المشاريع عبارة عن بحوث ونقاشات وتحليل ممارسات، ودرجة امتلاكهم لمؤهلات قادرة أن تُجوّد تجربة السائح وتضمن استدامة التراث الثقافي.

ويمكن أن تشارك أطراف من خارج المدرسة فيُقوّمُون بناء على مشاركتهم الفعلية في مهام وإنجازات في الميدان تخصّ السياحة الثقافية وسبل تطويرها وغيرها من الأنشطة التفاعلية.

الخاتمة

إن بلدا غنيّا وثريّا بمؤهلاته الجغرافية والثقافية والحضارية والبشرية يستحقّ أن يحقق أفضل مما حقّقه، ولا سبيل للوصول لهذه الرهانات المأمولة وتحقيق الطفرة إلا باستثمار كامل وناجع للإمكانيات الهائلة التي يتوفّر عليها المغرب.

إن التنافسية على أشدّها في هذا السباق الاقتصادي المحموم الذي لا يترك خطوة للصدفة، مما يفرض على الحكومة المغربية وباقي شركائها العمل بكامل جهدهم لاقتحام المجالات الواعدة في قطاع السياحة والثقافة، فملامح السياحة التقليدية بدأت تتحوّل بظهور أنماط متعددة وجديدة من السياحة بفضل الرقمنة وقوّة استنفار الملكات الإبداعية اللامحدودة، وبالتالي لا أمل في التعويل على السياحة الثقافية بمعانيها التقليدية.

ويتطلّب الوصول لنتائج أفضل الاستثمار في الرأسمال البشري بهدف ربح معركة تأهيله المبكر وتربية الشغف لديه وتقوية ملكاته الإبداعية، وهو ما يتطلّب تعاون وتنسيق مجموعة من المتدخلين (المدرسة، الثقافة، السياحة، الإعلام، المجتمع المدني...)، وتكون المدرسة نقطة انطلاقهم المدرسة المنفتحة على روح العصر بكلّ حمولته التقنية والإبداعية والتواصلية.

التوصيات

- الرفع من حجم الشراكات بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الثقافية والسياحية؛
- توظيف واستثمار الإمكانيات الرقمية (الواقع المعزز/ تطبيقات تراثية / خرائط تفاعلية...)؛
- الانفتاح على تجارب عالمية بهدف تملّك التلامذة لعقل ابتكاري متجدد قادر على تنويع عروض الثقافة السياحة، وخير تجربة تبقى التجربة الكورية (الموجة الكورية)؛
- وضع المدرسة في قلب السياسات السياحية والثقافية؛
- وجود إطار تشريعي مرن يسهّل حركية المدرسة في جميع الاتجاهات؛
- تشجيع البحوث والدراسات العلمية في هذا الشأن.

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم، ص. م. م، وشجاع، أ. ع. (2022). تنمية الوعي السياحي لدى الأطفال والشباب في مراحل التعليم الأساسي. *مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة مدينة السادات*، 6(1)، 5164.
- الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة للأخبار. (2024). دينامية التحول الرقمي في التعليم. تم الاسترجاع بتاريخ 04.08.2025 من https://snrtnews.com/article/106886
- اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. (2000). *الميثاق الوطني للتربية والتكوين*.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (2015). *الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030: من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء*.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (2014). *المدرسة، التكنولوجيات الجديدة والرهانات الثقافية*. منشورات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (2016). *اقتصاديات الثقافة*. منشورات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. (2021). *من أجل رؤية جديدة لتدبير التراث الثقافي وتثمينه*. منشورات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.
- الميثاق الدولي للسياحة الثقافية. (1999 و2022). *إدارة السياحة في المواقع ذات الأهمية التراثية*. المجلس الدولي للآثار والمواقع (ICOMOS). تم الاسترجاع من https://saudi-icomos.org/
- اليونسكو. (2013). *التربية من أجل التنمية المستدامة: كتاب مرجعي*. منشورات اليونسكو. تم الاسترجاع من https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000216383_ara
- اليونسكو. (2020). *التعليم من أجل التنمية المستدامة: خارطة طريق*. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. تم الاسترجاع من https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000374802
- مدي 1 للأخبار. (2024). تصريح وزير الثقافة حول مشاريع التراث الثقافي. تم الاسترجاع بتاريخ 03.08.2025 من https://www.medi1news.com/ar/article/313224.html
- منظمة السياحة العالمية. (2019). *الاتفاقية الإطارية لآداب السياحة*. تم الاسترجاع بتاريخ 01.08.2025 من https://www.e-unwto.org/doi/pdf/10.18111/unwtogad.2019.5.g51w645001604515
- وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة. (2022). *خارطة الطريق 2022-2026 من أجل مدرسة عمومية ذات جودة للجميع*.
- وكالة المغرب العربي للأنباء. (2021، 31 مارس). ***MAP Express***. تم الاسترجاع بتاريخ 10.08.2025 من https://www.mapexpress.ma/ar/actualite/السيد-أمزازي-يؤكد-على-أهمية-التكوين
- وكالة المغرب العربي للأنباء. (2024، 2 ديسمبر). السياحة الثقافية تشكّل 69 % من الطاقة الإيوائية الإجمالية بالمغرب . وزيرة. تم الاسترجاع بتاريخ 10.08.2025 https://www.mapnews.ma/ar/actualites/

المراجع باللغات الأجنبية

- AlAli, R. M., & Al-Barakat, A. (2024). Assessing the role of social studies curricula in enhancing tourism awareness among high school students: A student perspective. *International Journal of Learning, Teaching and Educational Research, 23*(10), 318–338. https://doi.org/10.26803/ijlter.23.10.1

- Franklin, A. (2003). *Tourisme: An introduction.* London, UK: SAGE Publications.

- **C**hen, M., Pei, T., Jeronen, E., Wang, Z., & Xu, L. (2022). Teaching and learning methods for promoting sustainability in tourism education. *Sustainability, 14*(21), 14592. Retrieved 26.08.2025 from https://doi.org/10.3390/su142114592

- Ministère de l'Éducation nationale, de l'Enseignement supérieur et de la Recherche. Parcours d'éducation artistique et culturelle. *Journal officiel de la République française.* Récupéré le 15.09.2025 de https://www.education.gouv.fr/bo/15/Hebdo28/MENE1514630A.htm

- Mousavi, S. S., Doratli, N., Mousavi, S. N., & Moradiahari, F. (2016). Defining cultural tourism. In *Proceedings of the International Conference on Civil, Architecture, and Sustainable Development (CASD-2016).* London. https://doi.org/10.15242/IICBE.DIR1216411

- UNESCO. (2022). *Final declaration: UNESCO World Conference on Cultural Policies and Sustainable Development – MONDIACULT 2022, Mexico City.* UNESCO Publishing. Retrieved 16.08.2025 from https://www.unesco.org/sites/default/files/medias/fichiers/2022/10/6.MONDIACULT_EN_DRAFT%20FINAL%20DECLARATION_FINAL_1.pdf

- World Tourism Organization. (2018). *Tourism and culture synergies.* UNWTO. Retrieved 20.08.2025 from https://doi.org/10.18111/9789284418978

- World Tourism Organization. (2022). *Tourism education guidelines.* Madrid: UNWTO.